نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي

أ. خالد بن عبدالكريم البكر
قسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة الملك سعود

الملخص

تطمح هذه الدراسة إلى رصد نمو الجيش الإسلامي في العهد النبوي ومناقشة مدلولاته، وانعكاساته على واقع الصراع الإسلامي - الوثني وقتذاك.

لقد دعا الإسلام إلى الحق، ولكن لاحق بغير قوة، بغير مجاهدين صادقين، يرون أنفسهم في الحرب منتصرين على كل حال، فإنما هي إحدى الحسنيين؛ النصر أو الشهادة، تلك هي نظرتهم للجهاد، وذلك هو سر العبقرية العسكرية الإسلامية التي أذهلت المؤرخين والكاتبين والقارئين حتى يومنا هذا.

لم يكن التفوق العددي هو السلاح النافذ الذي انتصر بواسطته المسلمون على أعدائهم، كلا؛ وإنما كان النصر بتطبيق تعاليم الإسلام الحنيف نصاً وروحاً، وكان النصر بإعداد المجاهد الصادق الذي لايلتفت إلى المديح أو المغنم وإنما يرنو إلى الثناء في الملأ الأعلى وإلى الأجر العظيم الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله.

ومن أجل إعداد المجاهدين الصادقين؛ نلاحظ أن الرسول ﷺ قد وضع قواعد لتنظيم الجيش الإسلامي، وهو لايزال بعد في طور التكوين، فألغى جميع الاعتبارات القبلية والاجتماعية والمادية التي قد تدعو غير المسلمين إلى مباشرة القتال مع صفوف المسلمين، لكنه أبقى الباب مفتوحاً أمامهم بشرط واحد؛ هو اعتناق الإسلام.

وأعتقد أننا في غنى عن إيضاح مدى الحاجة الماسة لتكثير سواد المسلمين، وخصوصاً في الفترة المبكرة التي أعقبت استقرارهم بالمدينة، لقد استغرق إعداد الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية وقتاً طويلاً واستنزف جهداً كبيراً، فكان الرسول ﷺ يعمل على جبهات متعددة من أجل تحقيق هذه الغاية، فهو يبدأ أولاً بالمسلمين؛ فيحثهم على الصبر والثبات عند اللقاء بغض النظر عن كثرة جموع المشركين وقلة أعداد المسلمين، ثم يعمل - عليه السلام - جاهداً في تبليغ رسالة ربه، فيدعو الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكلما دخل في الإسلام فرد أو جماعة انعكس ذلك إيجابًا وعلى قوة الجيش الإسلامي.

وأمرٌ ثالث اعتنى به الرسول ﷺ وهو إيجاد صيغة للتفاهم مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة بغرض استمالتها إلى جانب المسلمين أو تحييدها على أقل تقدير، فعقد سلسلة من (الموادعات) مع بعض هذه القبائل ولم يكتف الرسول الأعظم عليه السلام بذلك؛ بل نجده يولي عناية كبيرة بالناحية المعنوية لدى أفراد الجيش الإسلامي، فكان يتخذ في كل مناسبة عسكرية مايلائمها من الإجراءات الهادفة إلى دعم ثقة المسلمين بالله وثقتهم بأنفسهم، وفي المقابل حرص النبي ﷺ على التأثير في معنويات الخصوم وتفريق جموعهم، متى وجد المسلمون إلى ذلك سبيلاً.

بعد سنوات طويلة من الأذى والمشقة التي لقيها المسلمون من أئمة الكفر بمكة؛ شاء الله تعالى أن يفتح لعباده المؤمنين من أبواب رحمته وأن يمكن لهم في الأرض، فجاءت بيعة العقبة الثانية في موسم حج السنة الثالثة عشرة من البعثة (1) - يونيو

٦٢٢م، بمثابة نصر عظيم للمسلمين ومنعطف هام في طريق الدعوة الإسلامية، وعندئذ أمر النبي ﷺ من معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، قائلاً: ﴿إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها﴾[٢].

لقد كانت الهجرة إلى المدينة تعني من الناحية العسكرية؛ حشد المجاهدين في قاعدة أمينة، تمهيداً للنهوض بأعباء الجهاد[٣].

هاجر السابقون الأولون، وركبوا الذلول والصعب في سبيل الله، ولم تكن أعدادهم، فيما يبدو، تتجاوز المائة رجل - دون النساء -، فقد تتبع (ابن إسحاق)[٤] منازل المهاجرين على إخوانهم من الأنصار في المدينة، وَسَمَّى واحداً وستين رجلاً من المهاجرين، ثم أشار - دون أن يصرح بالاسم - إلى (رجال من المهاجرين)[٥] نزلوا على سعد بن خيثمة[٦]، وكان رجلاً عزباً، ولذا فقد خصص داره لاستقبال الأعزاب من المهاجرين[٧].

أما الأنصار الذين بايعوا رسول الله ﷺ في العقبة الثانية، فيبلغ عددهم ثلاثة وسبعين رجلاً[٨]، لكنهم لايمثلون جميع المسلمين من أهل المدينة، وآية ذلك أن قسماً من الأنصار لم يستطع التعرف على رسول الله ﷺ حال وصوله المدينة، ولا أن يميز بينه وبين أبي بكر *، فقال قائلهم في هذا: «وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل ذلك»[٩]. ويؤيد ذلك أيضاً مارواه (الطبري)[١٠] من أن الذين بايعوا الرسول ﷺ في العقبة إنما هم من النقباء رؤوس الذين أسلموا بالمدينة.

ليس في مقدورنا أن نعطي رقماً محدداً لأعداد المسلمين في المدينة من المهاجرين والأنصار عقب حادثة الهجرة مباشرة، غير أنه من المرجح أن أعدادهم كانت تربو على المائتي رجل، وربما ارتفع هذا الرقم خلال الأشهر التالية لعملية الهجرة، إذا أخذنا في الاعتبار استمرار تدفق المهاجرين على المدينة من مختلف النواحي وخصوصاً من مكة، فهناك بعض المسلمين بمكة لم يتيسر لهم الخروج إلى

المدينة، فتخلفوا عن الهجرة لعدة أشهر. وتأخرت هجرة بعضهم لعدة سنوات، ولم يكن أمامهم إلا مصانعة زعماء قريش وإظهار عزوفهم عن الإسلام، لكنهم ظلوا خلال هذه المدة التي أمضوها بمكة يرقبون الفرص الملائمة للخروج، فكانوا يخرجون مع القوافل التجارية والحملات العسكرية التى تجردها قريش، حتى إذا صارت قريباً من سرية إسلامية أو معسكر إسلامي؛ تسللوا من معسكر قريش ولحقوا بإخوانهم المسلمين، فقد ذكر (ابن إسحاق)[11] أن عبيدة بن الحارث[12] خرج على رأس سرية إسلامية في شوال سنة ١هـ، ولقي جمعاً من قريش إلا أنه لم يكن بينهم قتال، وأشار إلى أبرز الأحداث التي جرت في هذه السرية ومنها فرار المقداد بن عمرو[13] وعتبة بن غزوان[14] من المشركين إلى المسلمين «وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار».

ولعل هذا الأسلوب الجديد في الهجرة الذي استعمله المقداد وعتبة قد شجع بعض المسلمين بمكة على الهجرة بهذه الطريقة، فهذا عبدالله بن سهيل بن عمرو[15] يخرج مع قريش إلى بدر، وقد أظهر للمشركين أنه رجع عن دينه، فلما التقى الجمعان فرَّ عبدالله إلى معسكر المسلمين وشهد بدراً معهم[16].

أما بالنسبة للإنصار فقد كان موقفهم من الإسلام، عقب حادثة الهجرة، موقفاً متبايناً، نستطيع أن نوجزه فيما يلي: -

١ - السواد الأعظم من الأنصار اعتنق الإسلام برضا نفس وهدوء بال.

٢ - قسم منهم: وجدوا أنفسهم في وضع حرج بعد إسلام قومهم، فهم إما أن يبقوا على كفرهم فتلفظهم مجتمعاتهم وأقوامهم، وربما يتعرضون للعقاب لاحقاً، وإما أن ينتموا للدين الجديد، وهو لم يجدوا في أنفسهم انفتاحاً على تعاليم الإسلام ومبادئه، فرأوا أن خير وسيلة للخروج من هذا المأزق هو إعلان إسلامهم ظاهراً والاحتفاظ باعتقاداتهم وممارساتهم الجاهلية باطناً، وهؤلاء هم (المنافقون)[17].

٣ - قسم ضئيل منهم: تمسك بكفره ولم يدخل في الإسلام إلا بعد مدة مضت من الهجرة المباركة، ومن هؤلاء (بنو خطْمَة)[18]، فقد كان القسم الأعظم منهم

على الكفر، إذ روى (الواقدي)[19] أن رجالاً من بني خطمة كانوا يستخفون بالإسلام فرقاً من قومهم، كما أشار (ابن حزم)[20] إلى ذلك بقوله: (وتأخر إسلام جمهور بني خطمة). ومما يؤيد ذلك أنه لم يشارك في غزوة بدر الكبرى أحد من بني خطمة[21] إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً، فقد بذل الأنصار جهوداً مستمرة لإقناع قومهم من المنافقين (المعروفين بنفاقهم) والكافرين، في تصحيح عقائدهم، والإيمان بالله والتصديق بما جاء به رسول ﷺ.

كما كان للمسلمين عموماً جهود واضحة في دعوة اليهود للإسلام، ولقد أتت هذه الجهود بنتائج مثمرة انعكست إيجاباً على نمو القوة العسكرية الإسلامية، خاصة وأن المسلمين كانوا معنيين في هذه الفترة المبكرة من تاريخهم بإبراز كيانهم السياسي في المدينة وتأكيد وجودهم العسكري فيها. ولذا فقد اتخذ الرسول ﷺ جملة من التدابير لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، وتذليل العقبات التي قد تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من خلال بناء قوة عسكرية رادعه.

والواقع أن الرسول ﷺ قد أنفق جُل وقته منذ هجرته إلى وفاته، في تكوين الجيش الإسلامي وإعداده، وذلك لتحقيق الأهداف العليا لرسالة الإسلام الخالدة.

ونستطيع القول بأن تكوين الجيش الإسلامي وتنمية طاقاته البشرية قد مرَّ بثلاث مراحل زمنية مختلفة، وهي: -

المرحلة الأولى: من الهجرة إلى الخندق،

المرحلة الثانية: من الخندق إلى فتح مكة.

المرحلة الثالثة: من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ.

فما مدى نمو الجيش الإسلامي في كل مرحلة منها، ومادلائل هذا النمو في الواقع التاريخي؟

المرحلة الأولى: (من الهجرة إلى الخندق) ١-٥هـ

في السنوات الأولى من هذه الفترة؛ لم تكن أعداد المسلمين القادرين على حمل السلاح تصل إلى الألف مقاتل - فيما يبدو -، وعلاوة على ذلك فإنه يجدر بنا أن نتنبه إلى أن المقاتلين المسلمين لم يشاركوا جميعاً في المعارك الكبرى خلال هذه الفترة، وخاصة (بدراً وأحداً)، فالقوة الإسلامية التي خاضت هاتين المعركتين لاتمثل حقيقة القوة العسكرية الإسلامية وقتئذ، ففي غزوة بدر الكبرى كانت أعداد المسلمين تقدر بـ(٣١٣) مقاتل، تقريباً، غير أن قسماً من المسلمين قد تخلّف عن هذه الغزوة، لأنه لم يكن في حسبانهم أن يلقى المسلمون حرباً في وجههم هذا. أضف إلى ذلك أن الصرورة الاجتماعية اقتضت عدم خروج كل الرجال في الأسرة الواحدة إلى ساحة القتال، خاصة إذا كانت الأسرة تتألف من عدد كبير من النساء، فيقترع الأب وابنه ليخرج أحدهما مع النفير ويبقى الآخر عند نسائه، وقد حدث مثل ذلك في بدر مع سعد بن خثيمة ووالده، إذ كان الوالد يقول لابنه: (آثرني وقر مع نسائك)، فيجيبه الابن: «إنه لو كان غير الجنة آثرتك به؛ إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا»، فاستهما فخرج سهم سعد وقتل شهيداً في المعركة[٢٢].

وعلى الرغم من قلة أعداد المسلمين يوم بدر وحاجتهم إلى المقاتلة، إلا أن الرسول ﷺ لم يأذن لغير المسلمين في المشاركة في القتال، فقد خرج خبيب بن يساف[٢٣] وقيس بن مُحرِّث[٢٤] - وكانا مشركين - في أثر الجيش الإسلامي عندما توجه إلى بدر، فأدركا المسلمين ببعض الطريق، وأبديا رغبتهما في المشاركة في القتال لأسباب قبلية ومادية، لكن النبي ﷺ اشترط عليهما الإسلام قائلاً: «لايخرجنّ معنا رجل ليس على ديننا»فأسلم خبيب وشهد بدراً، وعاد زميله قيس بن محرِّث إلى المدينة فلم يشهد بدراً، لكنه أسلم فيما بين بدر وأحد[٢٥].

أما في أحد فقد ارتفعت أعداد المسلمين حتى وصلت إلى (٧٠٠) مقاتل شاركوا في هذه الغزوة- بعد انسحاب ثلث الجيش مع عبدالله بن أبي[٢٦]-، وهذه الزيادة الملحوظة في أعداد الجيش الإسلامي في أحد مردُّها إلى أن المسلمين كانوا

على بيّنة تامة من لقاء العدو بخلاف ماحدث في غزوة بدر، وبالتالي فقد أوعبوا واستعدوا جميعاً للقتال، ومع هذا فقد روعيت الظروف الخاصة لبعض البيوتات المسلمة التي تكثر فيها نسبة النساء، إذ روى (ابن إسحاق)[٢٧] أن عبدالله بن عمرو بن حرام[٢٨] خلّف ابنه جابر[٢٩] على أخواته السبع، فلم يشارك مع المسلمين في أحد.

لقد كانت قريش تتطلع إلى الانتقام من المسلمين والثأر لقتلاها يوم بدر، ولذا حرصت على تأمين فرص النجاح للمنازلة الحربية القادمة مع المسلمين، فأرسلت مندوبيها إلى القبائل العربية في الحجاز وتهامة تدعوهم لمشاركتها في حرب المسلمين[٣٠]، فجمعت قوة تقدر بثلاثة آلاف مقاتل[٣١]، وحينما لاحظ المسلمون أن قريشاً استعانت هذه المرة بأحابيشها وحلفائها، اقترح بعض الأنصار على رسول الله ﷺ أن يأذن لهم في الاستعانة بحلفائهم من اليهود، ولكن الرسول ﷺ يؤكد موقفه الصريح في هذه المسألة: «لاحاجة لنا فيهم»[٣٢].

لقد تجلت حكمته ﷺ وبعد نظره في عدم الاستعانة بغير المسلمين في العمليات الجهادية، فلئن كانت قريش قد سعت إلى زيادة عدد جيشها عن طريق الاستعانة بحلفائها وبغيرهم من (المرتزقة)؛ فلا يعني ذلك أن يقوم المسلمون بعمل مماثل لزيادة أعداد جيشهم عن طريق تجديد حلف عرب المدينة مع يهودها، صحيحٌ أن نمو القوة البشرية في الجيش الإسلامي كان يقابلها باستمرار نمو واضح في القوة البشرية لجيوش أعدائهم، إلا أن هناك اختلافاً واضحاً بين مدلول النمو البشري في جيش المسلمين ونظيره في جيش المشركين، ففي الجانب الإسلامي يدل هذا النمو على نجاح المسلمين في كسب المزيد من المقاتلين إلى جانبهم، وليس ذلك إلى أجل مسمى أو إلى مدة زمنية معلومة أو لقاء أجر مادي يتقاضاه هؤلاء المشاركون في غزوات المسلمين ثم ينتهي كل شيء بنهاية المعركة وبعدها يعودون من حيث أتوا؛ وإنما هو الإيمان العميق برسالة الإسلام الخالدة، والعمل على أن تكون كلمة الله

هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والثقة بموعود الله تعالى وما أعده للمجاهدين في سبيله من الأجر وحسن الثواب.

وأما مدلول النمو البشري في جيش المشركين فعلى النقيض تماماً مما عرضناه آنفاً.

فقد اشتبكت قريش مع قوات المسلمين في ثلاث مواجهات حاسمة خلال هذه المرحلة كان التفوق العددي لصالح المشركين في كل مرة، ففي بدر بلغ عدد المشركين (١٠٠٠) مقاتل، بينما كان عدد المسلمين (٣١٣) مقاتل، وفي أحد جمعت قريش (٣٠٠٠) مقاتل، بينما بلغت أعداد المسلمين (٧٠٠) مقاتل، وفي الخندق شكلت قريش حلفاً وثنياً بقيادتها فوصلت أعدادهم إلى (١٠٠٠٠) مقاتل، بينما قُدِّرت أعداد المسلمين بنحو (٣٠٠٠) مقاتل، فماذا كانت النتيجة؟

انتصر المسلمون نصراً حاسماً في بدر، وكادوا يُنصرون في أحد لكنهم خسروا المعركة لصالح قريش التي قنعت بهذا الانتصار (البارد)، ثم حقق المسلمون نصراً استراتيجياً مهماً في الخندق.

هذه هي النتائج القريبة أو المباشرة الدالة على حكمة الرسول ﷺ في منع غير المسلمين من المشاركة في الغزوات الإسلامية، أما النتائج البعيدة أو (غير المباشرة) فتتمثل في اختلاف تركيبة الجيش الإسلامي عن تركيبة جيش المشركين، ففي الأول ينتظم الجنود جميعاً تحت إمرة رجل واحد، ويقاتلون صفاً واحداً لتحقيق أهداف واحدة، وذلك أدعى أن يكون النصر قريباً منهم. أما جيش المشركين فيتألف من عدد من الأحلاف والراغبين في المغنم، يقاتلون تحت قيادات مختلفة ولغايات متضاربة ومآرب متنوعة، فلاعجب إذن أن تفشل قريش ومن سار في ركابها في حربهم ضد الإسلام، حتى وإن كان التفوق العددي لمصلحة جيوشهم، ولهذا لم يسمح الرسول ﷺ للمشركين واليهود بالمشاركة في الأعمال العسكرية الإسلامية، رغم افتقار الجيش الإسلامي للموارد البشرية اللازمة لتكوين قوة رادعة، إذ أن فكرة الاستعانة بغير المسلمين في هذا الميدان عبارة

عن حلول (ترقيعية) من شأنها أن تجعل حاجة المسلمين إلى غيرهم شبه مستديمة، وبالتالي فإن نشاط المسلمين في الدعوة إلى الإسلام قد يعتريه الكسل وربما الشلل. ثم إن مثل هذه الحلول لاتتناسب إطلاقاً مع المطلب الرباني العظيم الذي كان رسول الله ﷺ يعمل جاهداً لإتمامه.

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا التساؤل: إذا كانت القيادة الإسلامية قد استبعدت فكرة الاستعانة بغير المسلمين في أعمالها العسكرية؛ فهل يعني ذلك أن المسلمين قد أخذوا دور المتفرج على قريش وهي تحشد الجموع وتؤلب القبائل العربية الحرب الإسلام؟

والجواب عن ذلك هو النفي. فالمسلمون قد أخذوا زمام المبادرة، في الواقع، منذ وقت مبكر من استقرارهم بالمدينة[٣٣]، فقاموا ببث السرايا إلى النواحي القريبة منهم، ولعلهم كانوا يتوجسون من قيام قريش بإغراء هذه القبائل لمهاجمة المدينة أوالانضمام إلى معسكر قريش في حرب الإسلام، فقرروا - أي المسلمون - أن يحتاطوا لأنفسهم بواسطة السرايا والبعوث الإسلامية، ولم تكن الدعوة إلى الإسلام في أولوية الأهداف التي جُردت السرايا من أجلها، وإنما كان لهذه الرحلات العسكرية أغراض أخرى تتمثل في عرقلة النشاط الاقتصادي لمكة من خلال اعتراض قوافلها التجارية، والتلويح بالقوة العسكرية للأعراب المقيمين حول المدينة، ثم كسب ود القبائل العربية القاطنة قرب المدينة وعلى طريق مكة، وبعض القبائل المقيمة على امتداد ساحل البحر، فإن لم يكن ذلك ممكناً فلا أقل من موادعتها وتحييدها.

والحق أن القيادة الإسلامية كانت من الحكمة والحصافة بحيث لم تنشط في دعوة هذه القبائل إلى الإسلام خلال هذه المرحلة، ولذا فقد أصاب المسلمون من جراء هذه السرايا والبعوث خيراً عظيماً، نلمسه في هذا النص الذي أورده (الواقدي)[٣٤] في حديثه عن سرية القَرَدَة في جمادى الآخرة، سنة ٣هـ، إذ روى عن صفوان بن أمية[٣٥] قوله:

(إن محمداً وأصحابه قد عوّروا علينا متجرنا، فما ندري كيف نصنع بأصحابه، لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم ودخل عامتهم معه).

وهنا يتضح أن موادعة القبائل العربية كانت خياراً استراتيجياً جيداً، أكثر نفعاً وأعظم غناءً من فكرة الاستعانة بغير المسلمين في المجال العسكري.

أشرنا من قبل إلى ارتفاع نسبة الجيش الإسلامي في غزوة الخندق إلى (٣٠٠٠) مقاتل، إلا أنه يلزمنا استعمال الحيطة والحذر في تحليل هذه الزيادة في الجيش الإسلامي، فهي لاتعني بالضرورة سرعة انتشار الإسلام ومن ثم مشاركة المسلمين الجدد في هذه الغزاة؛ بقدر ماتعني اختلاف طبيعة غزوة الخندق عن سابقتيها (بدر وأحد)، ففي الغزوتين الأوليين كان الجيش الإسلامي يقاتل خارج المدينة، وبالتالي فقد كان يخرج القسم الأعظم من الناس ويبقى قسم ضئيل منهم لحراسة المدينة ومن فيها من النساء والذرية والأمتعة ونحوها، ويستعمل عليهم رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه.

أما في الخندق فقد قاتل المسلمون داخل حدود مدينتهم، ولذا فقد اشتركوا فيها جميعاً ولم يبقى أحد منهم في البيوت، ويؤيد ذلك أن صفية بنت عبدالمطلب[٣٦] - $ -حينما قتلت رجلاً من اليهود كان يطوف حول حصنهم؛ قالت: «وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا»[٣٧].

ولهذا حرص النبي ﷺ على إرسال فرق عسكرية لحراسة المدينة - مناوبة -، وذلك لتخويف اليهود بعد أن نقضوا عهدهم، وإشعارهم بقوة المسلمين، فتارة يخرج سلمة بن أسلم الأشهلي[٣٨] في (٢٠٠) رجل، وتارة أخرى يخرج زيد بن حارثة[٣٩] في (٣٠٠) رجل، فيظهرون التكبير في أرجاء المدينة حتى الصباح[٤٠].

لقد أدرك النبي ﷺ قلة أعداد الجيش الإسلامي بالنسبة للمشركين، خلال هذه المرحلة، فكان عليه أن يواجه هذه المشكلة بجملة من التدابير لعل من أهمها: الدعاء[٤١] والتضرع إلى الله جل جلاله بنصر عباده المؤمنين، ففي يوم بدر دعا ربه قائلاً: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لاتعبد»[٤٢].

ثم نزلت الآيات القرآنية تهوّن على المسلمين من شأن كثرة جموع أعدائهم وتحثهم على الصبر والثبات، فقال تعالى ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ . الأنفال - الأية(٦٥)

وقال تعالى: ﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى اللّه أمراً كان مفعولاً، وإلى الله ترجع الأمور﴾الأنفال الآية [٤٤].

ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب؛ بل اجتهد المسلمون في الكتابة إلى إخوانهم المقيمين بمكة يحرضونهم على المسارعة في الهجرة إلى المدينة[٤٣]، وذلك لتكثير سواد المسلمين من جهة؛ وحتى يتعلموا شرائع الدين من جهة ثانية[٤٤].

ثم ركز النبي ﷺ على رفع الروح المعنوية للمسلمين وعلى إظهار قوتهم وشدة بأسهم أمام العدو، فبعد هزيمتهم في أحد قال النبي ﷺ لأصحابه: «لن ينالوا منا مثل هذا اليوم حتى نستلم الركن»[٤٥]، وذلك ليزرع الأمل في نفوس أصحابه بأن الأيام القادمة ستحمل في طياتها بشائر النصر للمسلمين. ثم تتبع جيش المشركين إلى حمراء الأسد[٤٦] وأمر بإيقاد النيران فيها لإشعار العدو بأن الجيش الإسلامي لايزال قادراً على المنازلة.

ويأتي تذليل العقبات التي تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية من جملة التدابير التي اتخذتها القيادة الإسلامية لتوجيه النشاط السياسي والعسكري للمسلمين، وقد بادر المسلمون بتنفيذ هذه السياسة بعد غزوة بدر الكبرى مباشرة، فعملوا على التخلص ممن يحرض ضد المسلمين ويؤلب عليهم الجموع من الزعماء والشعراء[٤٧]، ودعماً لهذا الاتجاه نلاحظ أن السرايا والحملات العسكرية لم تعد تقنع بمجرد عقد (الموادعة) مع التكتلات القبلية، بل أخذت تنص صراحة على ضرورة التزام زعماء القبيلة بعدم المظاهرة على المسلمين وتكثير جموع أعداء الإسلام[٤٨].

المرحلة الثانية (من الخندق إلى فتح مكة) ٥-٨هـ

أعلن النبي ﷺ في بده هذه المرحلة بأن النشاط المستقبلي للمسلمين سيتخذ طابع الهجوم، وأن المسلمين قد تخلصوا من ضعفهم القديم، وذلك في قوله ﷺ «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم»[٤٩]، وذلك عقب فشل الأحزاب في اقتحام المدينة، رغم الحشود التي استطاعت قريش أن تسوقها نحو توجيه ضربة قاصمة للمسلمين.

والواقع أن قريشاً كانت تسعى من وراء تحزيب الأحزاب إلى خلق خصومات ومنازعات ثأرية بين المسلمين وبين القبائل العربية الأخرى، فيكتسب المسلمون خصوماً جدداً ويقاتلون على جبهات متعددة، وعلاوة على هذا فإن قريشاً سوف تلقي عن كاهلها عبء قتال المسلمين، فلا يقع هذا الأمر عليها وحدها، بل يشاركها فيه قوم آخرون، فتتفرغ قليلاً لاستئناف نشاطها التجاري بدرجة قوية.

وأمام هذه الحشود الضخمة التي تقدر بعشرة آلاف مقاتل[٥٠]؛ حاول المسلمون إيجاد ثغرات في معسكر المشركين، مستهدفين كسر هذا التحالف الوثني - اليهودي، فعرض النبي ﷺ على زعماء غطفان ثلث ثمار المدينة مقابل الانسحاب، وكاد يتم الاتفاق لولا معارضة الأنصار، بعد أن شاورهم النبي ﷺ في الأمر[٥١].

وظل فكرة كسر هذا التحالف وتفكيك هذه الجموع قائمة في ذهن رسول الله ﷺ، الذي استثمر فرصة إسلام نعيم بن مسعود[٥٢] استثماراً جيداً، واستفاد منه في التخذيل بين الأحزاب[٥٣].

ثم يأتي تطهير المدينة من يهود بني قريظة، الذين نكثوا عهودهم مع المسلمين، كخطوة أولى في رسم السياسة الإسلامية الجديدة والتي ستأخذ بزمام المبادرة في نشاطاتها ضد المشركين، إذ ستخرج الحملات العسكرية من المدينة بثقة واطمئنان، فلايدع المسلمون وراءهم من يخافون شره على مدينتهم ومن فيها.

وتأتي الخطوة الثانية عندما بعث النبي ﷺ طائفة من سبي بني قريظة مع نفر من أصحابه إلى الشام وإلى نجد لبيعهم وشراء سلاح وخيل(٥٤)، وذلك لاستيعاب المجاهدين الجدد ولتلبية الحاجات المتزايدة للجيش الإسلامي ولتنفيذ النزعة الهجومية في العمليات العسكرية القادمة للمسلمين.

لقد كان النبي ﷺ يتلقى أخبار مسير المشركين - وخاصة قريشاً - إلى قتاله، إما بواسطة مسلمي مكة، وإما بواسطة زعماء قبيلة خزاعة - وكانت عيبة نصح الرسول ﷺ -، وقد حدث هذا في أحد والخندق(٥٥)، وأما فيما بعد؛ فقد حرص المسلمون على مباغتة أعدائهم.كلما سمعوا بجمع للمشركين يُعد ويهيأ للغارة على المدينة، ولذا فقد جُردت السرايا بعد الخندق واتخذت طابع السرعة والمفاجأة، حتى لايتكرر تخزيب الأحزاب ضد المسلمين مرة ثانية.

وتأكيداً على هذا الدور الهجومي يخرج النبي ﷺ إلى مكة معتمراً في ذي القعدة سنة ٦هـ، وذلك للمرة الأولى منذ هجرته عليه السلام، وكان عدد المسلمين يتراوح من ١٤٠٠ - ١٧٠٠(٥٦)، وهو لايمثل - بالطبع - حقيقة أعداد الجيش الإسلامي في هذه الفترة؛ لأن النبي ﷺ خرج في هذه الوجه معتمراً لايريد حرباً، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ أن عناصر إسلامية جديدة التحقت بالجيش الإسلامي في هذه المناسبة، فقد شاركت قبيلة أسلم بمائة مقاتل(٥٧)، أي بنسبة ٧٪ تقريباً من المجموع العام للجيش الإسلامي، كما نلاحظ أيضاً أن النبي ﷺ استنفر قبائل عربية أخرى وحثها على الخروج معه، مثل بني بكر من كنانة، ومزينة، وجُهينة(٥٨)، ونخرج من ذلك بمؤشرات قوية تدل على بدء التغيير في مواقف القبائل العربية تجاه الإسلام، وسيكون لهذا الأمر أثرٌ عظيمٌ في تبدل ميزان القوى في الصراع الإسلامي - الوثني، ولصالح المسلمين بطبيعة الحال.

ولئن كانت قريش ترى بأنها أحرزت نجاحاً في صد الرسول ﷺ ومن معه من المسلمين عن العمرة سنة ٦هـ، ثم في توقيع اتفاقية الحديبية مع المسلمين، والتي

كانت شروطها في صالح قريش حسبما يبدو من ظاهر نصوص المعاهدة؛ فإن هذه الاتفاقية قدحملت في طياتها بوادر انهيار الوثنية، وكانت تمهيداً لفتح مكة، ذلك أن المسلمين اجتهدوا في نشر الإسلام أثناء الهدنة، في حين تفرغت قريش لتجارتها وتنمية أموالها. وقد علّق (الزهري)[٥٩] على معاهدة الحديبية قائلاً: «فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يُكلَّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر» لقد شجعت هذه المعاهدة المسلمين على نقل نشاطاتهم وتركيزها صوب الشمال بعد أن أمنوا على حدودهم الجنوبية، فتوجهوا نحو خيبر حيث لايزال اليهود فيها على عدائهم الشديد للدعوة الإسلامية، وقد خرج إليهم النبي ﷺ في (١٥٠٠) من أصحابه، وذلك في صفر سنة ٧هـ[٦٠]، وحث المسلمين من الأعراب على الخروج للجهاد في سبيل الله لا في سبيل الغنائم! قائلاً لهم: «لايخرجن معنا إلا راغب في الجهاد»[٦١].

وهذا يعني أن الجيش الإسلامي في هذه المرحلة قد استغنى عن مشاركة من لم يتغلغل الإيمان في قلوبهم، بخلاف ماكان عليه الحال في أحد، حيث ألح المسلمون على المنافقين بملازمة الجيش الإسلامي، ولو لتكثير سواد المسلمين، ويؤيد ذلك ماجاء في الآية الكريمة ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم﴾؛ آل عمران آية(١٦٧)

فقد قال جماعة من المفسرين[٦٢]: إن معنى قوله تعالى ﴿أو ادفعوا﴾ أي كثروا سواد المسلمين[٦٣]، ومن المعلوم أن هذه الآية الكريمة تصف مشهداً من، مشاهد غزوة أحد.

لقد كان انتشار الإسلام سريعاً في سنوات هذه المرحلة، إلى درجة جعلت المسلمين يحتاطون قبل البدء في شن الغارة على العدو، فينتظرون إلى الصباح فإن

سمعوا أذاناً أمسكوا وإن لم يسمعوا أذاناً أغاروا، وقد فعل النبي ﷺ ذلك في خيبر(٦٤).

ولقد أحست قريش إحساساً قوياً بتفوق الجانب الإسلامي خلال هذه المرحلة، فأخذت تتعامل مع هذه الحقيقة بما يليق بها، ونلاحظ ذلك في أمارات الشعور بالإحباط والوهن في منطق قريش ونظرتها إلى الأحداث الجارية. انظر مثلاً إلى قولهم عندما سمعوا بخروج النبي ﷺ إلى عمرة القضاء في ذي القعدة سنة ٧هـ، وقد أخرج المسلمون معهم سلاحاً كثيراً، عندئذ قال زعماء قريش: «والله ماأحدثناحدثاً ونحن على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه»(٦٥).

ثم نلاحظ هذا الضعف والفتور في الجانب المكي عندما سعى أبوسفيان بن حرب(٦٦) إلى تجديد معاهدة الحديبية، وبذل جهوداً مستميتة لتحقيق هذه الغاية دون جدوى، وكان القرشيون من خلفه يتلهفون إلى نجاح أبي سفيان في محاولته تلك.

المرحلة الثالثة

من فتح مكة إلى وفاة الرسول ﷺ وعلى آله وصحبه ٨-١١هـ

شاء الله تعالى أن يقطف المسلمون في سنوات هذه المرحلة ثمار جهودهم في السنوات الماضية، إذ وصلت أعداد الجيش الإسلامي إلى عشرة آلاف مقاتل، سار بهم الرسول ﷺ نحو مكة، ففتحها الله عليه.

ولقد حرص النبي الكريم على عدم سفك الدماء في البلد الحرام- باستثناء عدد قليل من الرجال والنساء، أهدر النبي - ﷺ - دماءهم -، فمنذ أن عقد النبي ﷺ النية، على المسير إلى مكة، نجده يستعمل جانب الحيطة والحذر في كتمان أمر خروجه، حتى لاتفكر قريش في المقاومة، ثم نجده أيضاً يأمر بحبس أبي سفيان بن حرب عند خطم الجبل ليرى بعينه قوة الجيش الإسلامي، فيذهب إلى مكة ويحث أهلها على التسليم(٦٧).

وبعد الفتح العظيم ارتفعت أعداد الجيش الإسلامي إلى (١٢٠٠٠) مقاتل في غزوة حنين ٨هـ، وذلك نظراً لكثرة الداخلين في الإسلام، فقد أخذت قبائل العرب وأفرادها يبادرون بإسلامهم، لأنهم كانوا ينتظرون نتيجة الصراع بين المسلمين وقريش التي تعد في نظرهم زعيمة العرب وحامية البيت وصريح ولد إسماعيل وناصبة الحرب لرسول الله ﷺ، فلما افتتحت مكة عرفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ وعداوته[٦٨]، وقد جاء في صحيح البخاري[٦٩]: «وكانت العرب تلومُ بإسلامهم الفتح فيقولون اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق. فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم».

وعلى الرغم من أن الجيش الإسلامي قد أصبح قوة ضاربة خلال هذه المرحلة، تخشى بأسها القبائل العربية؛ إلا أننا نلاحظ أن النبي ﷺ استعمل الرفق واللين في تعامله مع زعماء القبائل ومع غيرهم من عامة الناس الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد، ويتجلى ذلك في رفع الحصار عن الطائف ودعائه لهم: «اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم»[٧٠]، ثم في إعطاء المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين[٧١]، ليسلم الكافر وليثبت على الإسلام من دخل فيه حديثاً، ثم في رد السبي على هوزان رجاء إسلامهم[٧٢]، ثم في استمالة مالك بن عوف[٧٣] زعيم هوزان، ورد أهله وماله عليه وإعطائه مائة من الإبل[٧٤].

ويلاحظ أن السرايا الإسلامية لم تنقطع خلال هذه المرحلة، بل استمر النبي ﷺ في بعثها إلى جهات مختلفة، وهنا تحتل قضية الدعوة إلى الإسلام المرتبة الأولى من بين الأهداف التي جُردت السرايا من أجلها، فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام سرية بقيادة خالد بن الوليد[٧٥] ومعه (٣٥٠) من المهاجرين والأنصار وبني سليم، إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام، وذلك عقب فتح مكة[٧٦] كما بعث سرية إلى اليمن في رمضان سنة ١٠هـ بقيادة علي بن أبي طالب[٧٧] ومعه (٣٠٠) فارس، وقد أوصاه الرسول الكريم بقوله «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا

تقاتلهم، تلوّمهم أناة، ثم تقول لهم: هل لكم إلى أن تقولوا: لاإله إلا الله؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم إلى أن تصلوا؛ فإن قالوا: نعم، فقل: هل لكم أن تُخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم؛ فإن قالوا: نعم، فلا تبغ منهم غير ذلك. والله لأن يهدي الله على يدك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت!»(٧٨).

ويستشف من هذه التوجيهات النبوية حرص المسلمين في استعمال الأناة والصبر ونشر الإسلام بالتي هي أحسن، والتدرج في توضيح تعاليم الإسلام الحنيف.

وإذا كان الرسول ﷺ قد رفق بالعرب في هذه المرحلة؛ فإنه عليه الصلاة والسلام قد رأى استعمال الحزم وإظهار القوة فيما يتعلق بالروم ومن ضوى إليهم من العرب المتنصرة. ويبدو أن سياسية الحزم وإظهار القوة التي أبداها المسلمون تجاه الروم وحلفائهم، كانت عبارة عن تكتيك عسكري كان الغرض منه إشعار البيزنطيين وأتباعهم من العرب بصلابة القوة العسكرية الإسلامية، حتى لايفكروا في اختراق الحجاز، بعد أن شعروا بنمو الدولة الإسلامية ونجاحها في السيطرة على مكة معقل الوثنية العربية، ومن ثم محو رسوم الوثنية وطمس معالمها في بلاد العرب.

ولذا أبدى المسلمون مرونة كبيرة تجاه البقية الباقية من مشركي العرب، وذلك لتشجيعهم على اعتناق الإسلام، تمهيداً لنقل العمليات الجهادية الإسلامية إلى ميدان الروم، وقد حققت هذه السياسة الإسلامية نجاحاً كبيراً، إذ استطاع المسلمون أن يحشدوا (٣٠٠,٠٠٠) مقاتل، في عزوة تبوك سنة ٩هـ(٨٢)، ثم استقبلت المدينة أكثر من سبعين وفداً من مختلف قبائل العرب(٨٣) جاءوا إليها لإعلان إسلامهم أمام الرسول ﷺ، فكان ذلك مظهراً من مظاهر التفوق السياسي والعسكري للدولة الإسلامية في شبه جزيرة العرب، وإيذاناً بدخول طور جديد من أطوار الصراع مع القوى المعادية للإسلام.

الحواشي

١ - ابن هشام، أبومحمد عبدالملك، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي، (بيروت: دار القلم، د. ت)، ج٢، ص٨٣؛ الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار التراث، د. ت)، ج٢، ص٣٦٥.

٢ - ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١١١.

٣ - محمود شيت خطاب، *تاريخ جيش النبي* ﷺ، (القاهرة: دار الاعتصام، د. ت) ص٨.

٤ - ابن هشام المصدر السابق، ج٢، ص١١٢-١٢٣.

٥ - المصدر نفسه، ج٢، ص١٢٣.

٦ - سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الأنصاري الأوسي. عقبي، بدري، نقيب. استشهد يوم بدر ●. ابن الأثير، علي بن محمد، *أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة*، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ج٢، ص١٩٤؛ ابن حجر، أحمد بن علي، *الإصابة في تمييز الصحابة*، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، ج٢، ص٢٣-٢٤.

٧ - ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٣.

٨ - المصدر نفسه، ج٢، ص٩٧.

٩ - المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٧.

١٠ - الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٦.

١١ - ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤٢.

١٢ - عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي، أسلم قبل دخول الرسول دار الأرقم. استشهد ببدر ●، ابن عبدالبر، أبوعمر يوسف بن عبدالله، *الاستيعاب في أسماء الأصحاب*، (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت)، موجود بهامش الإصابة لابن حجر، ج٢، ص٣٤٦ - ٣٤٧.

١٣ - المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي، وقيل الكندي. حالف الأسود بن عبديغوث الزهري فتبناه الأسود فصار يعرف بالمقداد بن الأسود. هاجر إلى الحبشة ثم هاجر إلى المدينة فيما بعد، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة سنة ٣٣هـ ●. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٥-٤٧٨؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٤٣٣-٤٣٤.

١٤ - عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب المازني. حليف بني نوفل بن عبدمناف، هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وما بعدها. توفي في الربذة سنة ١٥هـ وقيل ١٧هـ، ● ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج٣، ص١١٤-١١٥؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص٤٦١-٤٦٢.

١٥- عبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس القرشي العامري. هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع إلى مكة فأوثقه أبوه عنده وفتنه في دينه فأظهر الرجوع في الإسلام وقلبه مطمئن به. استشهد في يوم اليمامة سنة ١٢هـ، *. ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣، ص١٦٧.

١٦- ابن سعد، محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج٣، ص٣١٠.

١٧- عماد الدين خليل، *دراسة في السيرة*، ط١٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة ودار النفائس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٣٦٦.

١٨- بنو خطمة: بطن من بني جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة، سكناهم في عوالي المدينة. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، ط٥، تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، ص٣٤٣.

١٩- الواقدي، محمد بن عمر، المغازي، تحقيق مارسدن جونس، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، دت)، ج١، ص١٧٤.

٢٠- ابن حزم، المصدر السابق، ص٣٤٥.

٢١- انظر القوائم التي أعدها (ابن اسحاق) بأسماء من حضر بدراً من الأنصار؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٢-٣٦٤.

٢٢- ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص٣٦٧.

٢٣- خبيب بن يساف ويقال أساف بن عقبة بن عمرو بن خديج الأنصاري الخزرجي. شهد بدراً وأحداً والخندق، ومات في خلافة عثمان، *. ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج١، ص٤٣٤-٤٣٥؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٤١٧-٤١٨.

٢٤- قيس بن محرِّث الأنصاري كان ممن ثبت يوم أحد، قاتل المشركين في طائفة من الأنصار فكان أول قتيل منهم، *. ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٨.

٢٥- الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص٤٧. وعند (ابن سعد) أن خبيب بن يساف وصاحبه قالا للرسول ﷺ: «إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لانشهده معهم»، فقال لهم النبي ﷺ: «وأسلمتما؟»، فقالا: لا، فقال عليه السلام: «فإنا لانستعين بالمشركين على المشركين». قال خبيب: «فأسلمنا وشهدنا معه». ابن سعد، المصدر السابق، ج٣، ص٤٠٤. وفي (صحيح مسلم): أن الرسول ﷺ قال: «ارجع، فلن أستعين بمشرك» وكررها عليه ثلاث مرات حتى أسلم في الثالثة. انظر: ملسم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، شرح النووي، دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١، ج١٢، ص١٩٨.

٢٦- عبدالله بن أبي بن سَلُول، من بني عوف بن الخزرج. كان رأس المنافقين وزعيمهم، وهو الذي قال في غزوة بني المصطلق: «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» وفي قوله هذا نزلت سورة المنافقين بأسرها. ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٣.

٢٧- المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٧.

٢٨- عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي السلمي. يكنى أباجابر، كان عبدالله عقبيًا بدريًا نقيبًا، شهد بدرًا وأحدًا واستشهد في أحد، فدفن هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد.

ابن الأثير، المصدر السابق، ج٣ ص٢٤٢-٢٤٤.

٢٩- جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي، يكنى أباعبدالله، وهو أحد المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ وقيل ٧٨هـ. ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٢١٤.

٣٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٦٥.

٣١- المصدر نفسه، ج٣، ص٧٠.

٣٢- المصدر نفسه، ج٣، ص٦٨.

٣٣- خرجت أول سرية إسلامية من المدينة، في رمضان من السنة الأولى للهجرة بقيادة حمزة بن عبدالمطلب. انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٣.

٣٤- الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧.

٣٥- صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة القرشي الجمحي، يكنى أبا وهب. هرب يوم فتح مكة فأحضر له ابن عمه عمير بن وهب أمانًا من النبي ﷺ، فعاد إلى مكة ثم أسلم وحسن إسلامه وأقام بمكة ومات بعدها في أواخر خلافة عثمان بن عفان. ابن عبد البر، المصدر السابق، ج٢، ص١٧٦-١٨٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص١٨١-١٨٢.

٣٦- صفية بنت عبدالمطلب بن هشم بن عبدمناف القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ ووالدة الزبير بن العوام، وشقيقة حمزة بن عبدالمطلب، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢٠هـ، ولها ثلاث وسبعون سنة ودفنت بالبقيع. ابن عبدالبر، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٦-٣٣٧؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٩-٣٤٠.

٣٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٩.

٣٨- سلمة بن أسلم بن حريش الأنصاري الأوسي. شهد بدرًا ومابعدها واستشهد في معركة الجسر في خلافة عمر بن الخطاب. ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص٦١.

٣٩- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ. وكان يقال له: حب رسول الله ﷺ. شهد بدراً ومابعدها. واستشهد في مؤتة سنة ٨هـ، ٠. ابن عبد البر، المصدر السابق، ج١، ص٥٢٥-٥٣٠؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٥٤٥-٥٤٦.

٤٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٥١-٥٢.

٤١- علّق (السهيلي) على شدة اجتهاد النبي ﷺ في الدعاء يوم بدر فقال: «والجهاد على ضربين: جهاد بالسيف، وجهاد بالدعاء، ومن سُنَّة الإمام أن يكون من وراء الجند لايقاتل معهم، فكان الكل في اجتهاد وجد ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين، وأنصار الله وملائكته يجتهدون.». السهيلي، أبوالقاسم عبدالرحمن ابن عبدالله، *الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام*، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ومؤسسة مختار، د. ت)، ج٣، ص٤٧.

٤٢- ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٩.

٤٣- كان عبدالرحمن بن عوف يكتب إلى مسلمي مكة يخبرهم بما أنزل الله فيهم من القرآن الكريم، ويحث القادرين على الخروج من مكة بسرعة للهجرة إلى الله ورسوله والانضمام إلى إخوانهم في المدينة؛ الواحدي، علي بن أحمد، *أسباب النزول*، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٣، (جدة -بيروت: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٨٠٨. وكان عمر بن الخطاب يكتب أيضاً لمسلمي مكة بما نزل فيهم من الآيات القرآنية ويدعوهم للهجرة إلى المدينة؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٢، ص١١٩-١٢٠.

٤٤- مهدي رزق الله أحمد، *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية*، ط١، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢)، ص٢٨٩.

٤٥- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٣٤.

٤٦- حَمْرَاءُ الأسد: وهي جبل أحمر يقع على بعد (٢٠) كيلاً جنوب المدينة، في الضفة اليسرى لعقيق الحسا على الطريق من المدينة إلى الفُرُع؛ انظر: ياقوت، شهاب الدين أبوعبدالله الحموي، *معجم البلدان*، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج٢، ص٣٠١؛ البلادي، عاتق ابن غيث، *معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية* ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢، ص١٠٥.

٤٧- ففي ٢٥ رمضان سنة ٢هـ؛ قتلت عصماء بنت مروان، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتحرض على المسلمين؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠-٢١. وفي شوال سنة ٢هـ قُتل أبوعفك، من بني عمرو بن عوف، وكان ممن يحرض على عداوة المسلمين؛ المصدر نفسه،

ج٢، ص٣٩. وفي ربيع الأول سنة ٣هـ قتل كعب بن الأشرف، من يهود بني النضير، وكان قد خرج إلى مكة وجعل يحرض قريشاً على المسلمين وينشد الأشعار في رثاء قتلى بدر؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٥٥. وفي شوال سنة ٣هـ، قتل أبوعزة الجمحي بعد أن وقع أسيراً في قبضة المسلمين يوم أحد، وكان الرسول ﷺ قد أسره يوم بدر ثم منّ عليه، لكنه عاد وأخذ يحرض العرب على حرب المسلمين قبيل أحد، وينشد الأشعار في ذلك؛ المصدر نفسه، ج٣، ص٦٥-١١٠. وفي ذي الحجة سنة ٤هـ قتل أبو رافع بن الحقيق، من يهود خيبر، وكان يغري غطفان وغيرها من مشركي العرب بحرب المسلمين ويعدهم بالمكافأة نظير ذلك. الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٤. وعند ابن سعد أن مقتل أبي رافع بن الحقيق كان في رمضان سنة ٦هـ؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢.

٤٨- ففي غزوة ذي أمَرّ؛ تعهد دعثور بن الحارث - الذي شكل قوة من بني ثعلبة وبني محارب من غطفان لمهاجمة المدينة - بعدم المشاركة مستقبلاً في جيوش المشركين أو الدعوة لحرب المسلمين، وذلك في قوله للنبي ﷺ: «والله، لاأكثر عليك جمعاً أبداً»؛ الواقدي، المصدر السابق، ج١، ص١٩٥؛ وعند (الحاكم) أن الرجل واسمه (غورث بن الحارث) قال للرسول صلى الله عليه وسل: «أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك»، انظر: - الحاكم النيسابوري، أبوعبدالله، *المستدرك على الصحيحين*، (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، ج٣، ص٢٩.

٤٩- ابن حجر، أحمد بن علي، *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٣، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٧هـ) ج٧، ص٤٦٧.

٥٠- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٠-٢٣١،

٥١- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٤.

٥٢- نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف الأشجعي، أبو سلمة، أسلم لبالي الخندق، وأوقع الخلاف بين قريظة وغطفان فخالف بعضهم بعضاً ورحلوا عن المدينة، توفي في خلافة عثمان وقيل في أول خلافة علي بن أبي طالب، ؓ؛ ابن حجر، المصدر السابق، ج٣، ص٥٣٩.

٥٣- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٠.

٥٤- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٣؛ البيهيقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، *دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة*، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥)، ج٤، ص٢٤.

٥٥- المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٥؛ ج٢، ص٤٤٤.

٥٦- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٢٢؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٥٠٤.

٥٧- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٥٧٤.
٥٨- المصدر نفسه، ج٢، ص٥٧٤ .
٥٩- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٣٦ .
٦٠- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٣٤ . وعند (ابن سعد) أن عددهم (١٤٠٠)؛ ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٨٢ .
٦١- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص٨١ .
٦٢- وهؤلاء المفسرون هم : عبدالله بن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك ابن مزاحم والحسن البصري، والسدي . ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (بيروت : دار المعرفة، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)، ج١، ص٤٢٥ .
٦٣- المصدر نفسه، ج١، ص٤٢٥ .
٦٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤٣؛ ابن حجر، فتح الباري، ج٧ ص٥٣٥ .
٦٥- الواقدي، المصدر السابق، ج٢، ص٧٣٤؛ البيهقي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٢١ .
٦٦- صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأموي . أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف . كان من المؤلفة قلوبهم . مات في خلافة عثمان، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ؛ ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص١٧٢-١٧٣ .
٦٧- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص٤٦ .
٦٨- مهدي رزق الله أحمد، المرجع السابق، ص٥٧ .
٦٩- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٦١٦ .
٧٠- ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص١٢١ .
٧١- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٥-١٣٦ .
٧٢- المصدر نفسه، ج٤، ص١٣١-١٣٢ .
٧٣- مالك بن عوف بن سعد بن يربوع، من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوزان . كان زعيم المشركين يوم حنين، ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، واستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل ثقيفاً فلايخرج لهم سرح إلا أغارعليه حتى يصيبه؛ ابن حجر، الإصابة، ج٣، ص٣٣١-٣٣٢ .
٧٤- ابن هشام، المصدر السابق، ج٤، ص١٣٤ .
٧٥- خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أبوسليمان كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم في سنة ٧هـ، وأرسله النبي ﷺ إلى أكيدر دومة فأسره . وعهد إليه أبو بكر بقتال أهل الردة فأبلى في قتالهم بلاءً عظيماً، ثم ولاه حرب

فارس والروم فأثر فيهم تأثيراً شديداً وفتح دمشق. توفي بحمص وقيل بالمدينة سنة ٢١هـ *، ابن حجر، المصدر السابق، ج١، ص٤١٢-٤١٥.

٧٦- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٦٥٤.

٧٧- علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن. ولد قبل البعثة بعشر سنين، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك. بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان *، ودامت خلافته خمس سنوات، إذ استشهد في رمضان سنة ٤٠هـ، *؛ ابن حجر الإصابة، ج٢، ص٥٠١-٥٠٣.

٧٨- الواقدي، المصدر السابق- ج٣، ص١٠٧٩.

٧٩- أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، يكنى أبا محمد ويقال أبا زيد. أمه أم أيمن مولاة النبي ﷺ. كان عمر يجله ويكرمه، وفضله في العطاء على ابنه عبدالله بن عمر. اعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان *، إلى أن مات سنة ٥٤هـ في أواخر خلافة معاوية، *؛ ابن عبدالبر، المصدر السابق ج١، ص٣٤-٣٦.

٨٠- أُبْنَى: موضع بالشام من جهة البلقاء، وقيل قرية بمؤتة؛ ياقوت، المصدر السابق، ج١، ٧٩.

٨١- ابن حجر، فتح الباري، ج٧، ص٧٥٩.

٨٢- المصدر نفسه، ج٧، ص٧٢١.

٨٣- ابن سعد، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٢-٢٦٩.